



القائد (أوتوفون بسمارك Otto Von Bismarck) ، ودوره في تجسيد مشروع الوحدة الألمانية (1861 – 1871 م)

The leader (Otto Von Bismarck), and his role in the embodiment of the German unification project (1861-1871)

الدكتور مصطفى داودي

جامعة الشهيد زيان عاشور / الجلفة daoudi.m73@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/07/21 تاريخ القبول: 2021/12/12

Abstract:

Throughout the modern era, Germany has lived through difficult and complicated periods in the shadow of the fragmentation and disintegration it has reached, which has gone beyond imagination, to the extent that the number of its fragmented political entities, according to sources, exceeded three hundred.

Most of them were in conflict and subject to direct and indirect external influence, in a way that made the idea of the unity of these entities a distant dream.

But the German people defied the difficulties in achieving the German unification project, which passed through important stages, most notably the stage of the leader (Bismarck).) which prepared an integrated project based on three important pillars:

- Prepare internally by forming a strong army.

Smart diplomacy

Decisive military steps

All these steps ended with the embodiment of the German unification project in (1871).

Keywords: Germany, German Unity, Bismarck, Austria, France

الملخص:

عاشت ألمانيا طوال العصر الحديث فترات صعبة ومعقدة في ظل التشرذم والتفكك الذي وصلت إليه ، والذي تجاوز الخيال ، لدرجة أن عدد كياناتها السياسية المتشرذمة حسب المصادر تجاوز ثلاثمائة.

وكانت أغلبها في صراع وخاضعة لتأثير خارجي مباشر وغير مباشر ، بطريقة جعلت فكرة وحدة هذه الكيانات حلما بعيد المنال.

لكن الشعب الألماني تحدى الصعوبات في تحقيق مشروع الوحدة الألمانية والذي مرّ بمراحل مهمة أبرزها مرحلة القائد (بسمارك). التي أعدت مشروعاً متكاملًا يركز على ثلاث ركائز مهمة:

- الاستعداد الداخلي من خلال تشكيل جيش قوي.
- الدبلوماسية الذكية
- خطوات عسكرية حاسمة

كل هذه الخطوات انتهت بتجسيد مشروع توحيد ألمانيا عام (1871 م).

الكلمات المفتاحية: ألمانيا ، الوحدة الألمانية ، بسمارك ، النمسا ، فرنسا

1. مقدمة:

عاشت ألمانيا طوال مرحلة العصر الحديث فترات صعبة ومعقدة بالنظر لما وصلت إليه من تجزئة وتفكك فاق كل تصور ، حتى أنها ، تجاوزت في تعداد كياناتها السياسية المتجزئة بحسب المصادر الثلاثمائة كيان سياسي ، وكلها في صراع وخضوع للتأثير الأجنبي المباشر وغير مباشر ، في صورة جعلت فكرة الوحدة لهذه الكيانات أمرا تراجيديا مستحيل التحقيق وبعيد المنال ، إلا أن الشعب الألماني بمثقفيه وسياسيه ، لم يمل من العمل باستمرار على تحقيق مشروع الوحدة



الألمانية ، مهما كلف ذلك من مصاعب وتحديات ، وقد مرّوا في سبيل تحقيق مشروعهم الوحدوي بمراحل فارقة ، لما يروا فيها النور الحقيقي للوحدة ، إلا انطلاقاً من سنة (1861م) ، من خلال متغيرين مهمين ، حدثا في سنتي (1859م) و(1861م) ، وهما¹ :

- تنازل النمسا مجبرة على (لومبارديا وسردينيا) سنة (1859م) ، بسبب انهزامها عسكرياً أمام القوات الفرنسية المتحالفة مع سردينيا ، وهو ما فتح الباب واسعاً أمام الألمان بضرورة النهوض ، لأنهم رأوا ضعف النمسا وبالإمكان هزمها ، والنموذج سردينيا هنا .

- وفاة الملك البروسي (فريدريك وليام الرابع) ، سنة (1861م) ، واعتلاء عرش النمسا أخوه (وليام الأول)² ، الذي عرف عليه تحمّسه لمشروع وحدة ألمانيا ، وكان من أهم مشاريعه تقوية الجيش البروسي استعداداً لمحطات صعبة في سبيل تحقيق مشروع الوحدة³ .

كل هذه المتغيرات عجّلت بظهور إرادة جديدة وإصرار لافت لدى الألمان في ضرورة تحقيق حلم الوحدة ، وعلموا أنه لن يحصل ذلك إلا بوجود رجال أقوياء في مستوى هذا الحلم والتحدي ، وكانت شخصية القائد (بسمارك) (1815 – 1898) ، أبرز نموذج في ذلك ، حيث أخذ على عاتقه تحقيق حلم الوحدة الألمانية مهما كلف ذلك من أمر ، ووفق مشروع ، عدّ من أبلغ نماذج مشاريع الوحدة في أوروبا خلال التاريخ المعاصر .

بناء على ما سبق آثرنا تناول هذا الموضوع بنوع من التحليل والتعمق من خلال مقالنا هذا الموسوم بـ:

القائد (أوتو فون بسمارك Otto Von Bismarck) ، ودوره في تجسيد مشروع الوحدة الألمانية (1861 – 1871م)

وتكمن أهمية هذا المقال في كونه يعالج ابرز تجربة وحدة في التاريخ المعاصر ، والتي شكّلت نموذجا لافتا لتجارب الوحدة ، سواءً في أوروبا ، أو خارجها ، وذلك بالنظر للظروف والتحديات التي كانت تقف حجرة عثرة في سبيل تحقيق حلم الوحدة الألمانية ، وكذلك المشروع اللافت والمتكامل الأركان ، الذي جعله القائد (بسمارك) ومن ورائه كل الألمان كخارطة طريق لتحقيق الحلم الألماني الذي طال انتظاره .

ولمعالجة هذا الموضوع بعمق ننطلق من الإشكال التالي :

من هو القائد (أوتو فون بسمارك Otto Von Bismarck) وما هو دوره في تجسيد

مشروع الوحدة الألمانية (1861 – 1871م)؟

وللإجابة على هذا الإشكال نجزئه إلى التساؤلات التالية :

من هو القائد (أوتو فون بسمارك Otto Von Bismarck)؟ وما هو مشروعه لتحقيق الوحدة الألمانية ؟ وكيف استطاع أن يجسد مشروعه على أرض الواقع ويحقق حلم ألمانيا موحدة ؟

أولا - شخصية القائد (بسمارك) (1815 – 1898) :

ولد القائد (أوتوفون بسمارك) ، يوم 1 نيسان / أبريل سنة (1815م) بمقاطعة (شونهاوزن) ، وهي منطقة تمتلكها عائلته الثرية غرب برلين في مقاطعة ساكسونيا ، كان أبوه ضابطا في الجيش البروسي ، ولم تذكر المصادر الكثير من سيرة طفولته ، وشبابه سوى أنه تدرج في الدراسة الجامعية ، في جامعة (غوتنغن) ، التي تخرج منها محاميا سنة (1836م) ، وهو في صورة الشاب المثقف الذي يحسن التحدث بخمس لغات وهي: (الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والبولندية والروسية) ⁵ ، وبعد تخرجه اشتغل في ميدان الخدمة العمومية في بروسيا، إلا أن أهم ما لوحظ عليه في مرحلته هذه هو نفوره وعدم تقبله لتسلط مرؤوسيه عليه، كما عرف عليه خلال هذه المرحلة



حب اللهو والإدمان على شرب الخمر، إلا أن بزواجه سنة (1847م)، تغيرت شخصيته من شاب يحب اللهو والإدمان، إلى رجل محافظ يميل إلى التدين⁶.

لقد غيرت محطة الزواج فيه كثيرا، حيث بدأ أكثر مسؤولية اتجاه بلاده، فانخرط في الحقل السياسي، وأصبح عضوا نشطا في البرلمان البروسي سنة (1847م)، ونظرا لتميزه انتدب من قبل بروسيا في مجلس (الدايت الألماني) الذي كان مقره في (فرانكفورت) وذلك سنة (1851م)، وخلال هذه المرحلة حدث كثير التغيرات في آرائه، حيث تخلص من تأثير أصدقائه المحافظين، وأصبح أكثر اعتدالا سياسيا، من إخلال إيمانه بأن بروسيا يجب أن تتحد مع الإمارات الألمانية الأخرى لمواجهة خط النفوذ النمساوي المتزايد، وهنا تشرب (بسمارك) مشروع الوحدة الألمانية كحل يجب العمل على تحقيقه، كل هذه المحطات أكسبته مكانة كبيرة في بروسيا، جعلت ملكها، يعينه سفيرا في (فيينا) سنة (1854م)، ثم سفيرا أيضا في (بطرس بورغ) عاصمة روسيا القيصرية سنة (1859م)، وباريس سنة (1862م)، كل هذه المحطات جعلت بسمارك في صورة واضحة للوضعين الداخلي والخارجي، وبصورة واضحة لأعداء بروسيا وألمانيا الحقيقيين، وبالتالي شكّل الخلفية اللازمة، التي تجعل منه الشخصية السياسية مستقبلا، الأكثر فهما للواقع الألماني عموما خلال هذه المرحلة، وما يحيط به من تحديات⁷.

ثانيا - مشروع القائد (بسمارك) لتحقيق الوحدة الألمانية:

بعد الأزمة السياسية الكبيرة التي عرفتها بروسيا سنة (1862م)، بين الملك (وليام الأول) المعتلي الجديد للعرش، والبرلمان، والتي كادت أن تقود الملك إلى التنازل عن العرش لولا ظهور شخصية (بسمارك) على مسرح الأحداث، كمنقذ للوضع، من خلال تعيين الملك له على رأس الحكومة ووزارة الخارجية، وكان أولى إجراءاته هو

خطابه الشهير القوي أمام البرلمان يوم : (30 سبتمبر 1862م) ، والذي عنون في الأدبيات التاريخية ، بخطاب (الحديد والدم) والذي جاء فيه ما يلي⁸ :
" يجب على بروسيا بناء قوتها والاحتفاظ بها للوقت المناسب ... وليس من خلال الخطب وقرارات الأغلبية سيتم البت في الأسئلة الكبرى اليوم - وهو من الأخطاء الكبرى التي وقع فيها رجال عامي (1848 - 1849م) ، ولكن بالحديد والدم يمكن حل إشكالاتنا الكبرى"

وفي سبيل تحقيق مشروع الوحدة الألمانية ، كان القائد (بسمارك) ، يرى بأن تجسيد ذلك ينبغي أن يؤسس وفق إستراتيجية متكاملة ، تأخذ على عاتقها جميع العوامل التي لا يمكن أن يتجسد مشروع الوحدة الألمانية إلا من خلالها ، والتي يمكن أن نحصرها من خلال ثلاثة عوامل مهمة :

أ - تأسيس جيش بروسي قوي يكون سنداً أكبر لمشروع الوحدة الألمانية
ب - القيام بعمل عسكري داخلي وخارجي ضد أعداء الوحدة الألمانية لاسترجاع هيبة ألمانيا.

ج - عمل دبلوماسي نشط يهئ الأجواء أمام مشروع الوحدة .

د - تهيئة الأجواء الداخلية ، التي تجعل من مشروع الوحدة الألمانية أولوية ملحة .

ثالثاً - مسار تجسيد مشروع الوحدة الألمانية من قبل القائد (بسمارك) :

1 - تأسيس جيش بروسي قوي يكون سنداً أكبر لمشروع الوحدة الألمانية:

كانت سنة (1861م) سنة مهمة في التأريخ لمشروع الوحدة الألمانية ، بالنظر للمتغير اللافت الذي حدث فيها ، وهو وفاة الملك البروسي (فرديريك وليام الرابع) ، واعتلاء عرش بروسيا أخوه الملك (وليام الأول William I) ، هذا الأخير الذي كان متشعباً بالروح القومية الهادفة إلى الوحدة الألمانية ، وكان يرى بأنه لا سبيل لألمانيا موحدة إلا بجيش بروسي قوي ، لذلك عمد من اعتلائه العرش على ضرورة إحاطة الجيش البروسي بكل عوامل القوة وتقديم له كل ما يحقق هذه الغاية .



بناء على هذا قام بسياسة إصلاحية للجيش من حيث القادة والعدة والعتاد ، ولأجل ذلك عين القائد (فون رون) على رأس وزارة الدفاع ، هذا القائد الذي كان له فلسفة عسكرية جديدة تقوم على ضرورة⁹ :

- إدخال نظام التدريب العسكري الإجباري .
- مضاعفة عدد الجنود في الجيش البروسي.
- تخصيص ميزانية معتبرة لإصلاح الجيش .

لما جاء القائد (بسمارك) على رأس الحكومة ، كان يحمل ذات المشاعر القومية التي يحملها الملك ، واشترك معه ، في ضرورة تقوية جيش بروسيا لأنه واجهتها الكبرى ومستقبلها الذي يمكن من خلاله تحقيق الأهداف القومية في توحيد ألمانيا ، لذلك أخذ على عاتقه منذ البداية مشروع النهوض بتقوية الجيش البروسي ، من خلال¹⁰ :

- عمل إصلاحي يشمل برنامجه التكويني والتدريبي المواكب للتطورات التي تشهدها منظومة الجيوش الأوروبية.
- دعم الجيش من حيث العدة والعتاد العسكري وتطوير منظومة السلاح بما يواكب الجيوش الأوروبية خلال تلك المرحلة .
- إعادة هيكلة الجيش من حيث الجندية والقيادة .

كل هذه الإصلاحات العسكرية التي كانت محلّ إجماع من قبل ساسة بروسيا ، قد انعكست بإيجابية كبيرة على الجيش البروسي ، الذي أصبح في ظرف سنوات قليلة يمتلك كل عوامل القوة ، التي تجعل منه معادلة صعبة في رهانات الصرع والتنافس الأوروبي الحاصل آنذاك ، سواء من حيث العدة والعتاد ، أو من حيث الروح القومية التي بات يمتلكها أكثر من أي وقت سابق ، وبهذه القوة صعد سقف طموحات

بروسيا إلى أهداف كبيرة ، تصل إلى حدّ المكانة المميزة أوروبا من حيث التأثير السياسي والعسكري .

2 - العمل الدبلوماسي البروسي بقيادة (بسمارك) لتهيئة الأجواء أمام مشروع القومية الألمانية .:

أدرك القائد بسمارك أن القوة العسكرية وحدها لا يمكن أن تحقق الانتصارات الحاسمة ، إذا لم تهرئ لها الأجواء السياسية المناسبة ، وذلك من خلال عمل دبلوماسي ذكي ، يقلل فيه من قوة المنافس قد المستطاع ، لذلك نلاحظ بأن بسمارك ، قام بنشاط دبلوماسي لافت كان له أبلغ الأثر في تطور الأحداث العسكرية لصالح بروسيا لاحقا ، وكان هدفه من كل ذلك :

- ربط بروسيا بعلاقات خارجية متوازنة مع الدول الأوروبية الكبرى ، لأجل عودة بروسيا كقوة أوروبية مؤثرة .

- إبرام اتفاقيات خارجية جديدة مع الدول الأوروبية ، من شأنها بناء واقع جديد تسترجع من خلاله بروسيا ما ضاع للألمان خلال العقود الماضية.

- إعادة تنظيم خارطة ألمانية القومية بعيدا عن التجزئة والنفوذ الخارجي .

- محاولة اقناع الدول الغربية بأن تقف على الحياد ، خلال لحظات الحسم البروسي لمسائل الحدود القومية.

- العمل على عزل النمسا خارجيا من خلال عمل دبلوماسي ، مركز يشكل لها عزلة تكون لصالح بروسيا في حال نشوب حرب بينهما ، بعيد عن التحالفات الخارجية.

لذلك نجد أن بسمارك وضع لنفسه مسارين دبلوماسيين مهمين :

- الأول قريب المدى ، ويتعلق كله بعزل النمسا دبلوماسيا ، حتى يتسنى لبروسيا هزيمتها وتحقيق مكانة إقليمية مميزة تجعل منها قوة لا يستهان بها ، يضاف إلى كل ذلك تحقيق مكاسب على الأرض تدفع بالمشروع القومي الألماني إلى الأمام .



- والثاني بعيد المدى لما بعد هزيمة النمسا ، حيث سيعمل بسمارك على فرض مكانة بروسيا في أوروبا بناء على النتائج المحققة ومكانتها الإقليمية العسكرية كقوة مؤثرة في الواقع الأوروبي.

ويمكن أن نقف على أهم المحطات لنشاط بسمارك الدبلوماسي في المسار الأول وفق النقاط التالية¹¹:

أ – عقد (بسمارك) لقاء مع (نابليون الثالث) خلال شهر أكتوبر 1865م ، ضمن فيه حياد فرنسا في حال نشوب حرب بين بروسيا والنمسا ، مقابل إعطاء مكاسب لفرنسا في منطقة (الراين) ، مع أن فرنسا كانت تفكر بذلك أيضا من وراء هذا الاتفاق ، حتى تفتح المجال لصراع بروسي نمساوي بينهما ، ويجعل مكاسب فرنسا أقوى.

ب – بخصوص إيطاليا أقام بسمارك تحالفا مع (سردينيا) ، في شهر أبريل 1866م ، وعدها فيه بمنحها البندقية في حال هزيمة النمسا.

ج – ضمان جبهة بريطانية من خلال تشكيل رأي عام بريطاني حرّ ، يضغط على بريطانيا حتى لا تقف إلى جانب الدول التي تعارض النزعات القومية المطالبة بالحرية ، مثل: (النمسا وروسيا).

د – وقوف بروسيا إلى جانب روسيا في حربها مع بولندا سنة 1863م ، انتهى باتفاق بروسي روسي ، سنة (1865) ، تعهدت فيه هذه الأخيرة بالوقوف على الحياد في حال نشوب حرب بين بروسيا والنمسا .

هـ - استغلال (بسمارك) للموقف الروسي اتجاه النمسا لرفض هذه الأخيرة مساعدته في حروب القرم .

كل هذا النشاط الدبلوماسي الخارجي الذي ميّز سياسة القائد (بسمارك) ، قد هباً الأجواء كاملة ، لإنجاح خطته في عزل النمسا خارجياً ، وبالتالي إمكانية إعلان حرب ضدها تنتهي بهزيمتها ، والوصول إلى أجواء جديدة ، يتحقق معها مشروع ألمانيا القومية .

أما عن المسار الدبلوماسي الثاني بعيد المدى ، الذي كان يهدف من خلاله القائد (بسمارك) ، العمل على عزل فرنسا دبلوماسياً ، حتى يتسنى لبروسيا خوض حرب تحقق بها مكاسب ألمانيا القومية ، وقد جاء هذا التحرك ، بعد انتصارات بروسيا على النمسا في معركة فاصلة بينهما ، هي معركة (سادوا Sadowa) (03 جويلية 1866م) ، التي أذلت النمسا على الصعيد القاري بانتصار بروسي حاسم ، انتهت بمعاهدة سلام قاسية على النمساويين ، تغيرت بموجبها خارطة القوة الأوروبية بانتهيار الإمبراطورية النمساوية ، التي لعبت دوراً مفصلياً في أوروبا ، تصدرت فيه مشهد الأحداث لقرون طويلة ، وبرزت (بروسيا) كقوة أوروبية صاعدة .

كل هذه التطورات ما بعد معركة (سادوا Sadowa) ، نزلت على فرنسا كالصاعقة ، لأنها كانت تراهن على انتصار النمسا على بروسيا ، وأدرك الفرنسيون أنهم خدعوا من قبل القائد (بسمارك) ، بوقوفهم على الحياد وعدم مساندتهم لنمسا في حربها ، لذلك أحس الفرنسيون بالإهانة جراء هذه التطورات المتسارعة ، مدركين أنهم سيكونون الوجهة الثانية لبروسيا ، وقد كان بسمارك صريحاً اتجاه فرنسا بتصريحه على: " إصرار بروسيا الدفاع عن القومية الألمانية ، وعد استعدادها للتفريط في أية قرية ألمانية ، ولو أدى ذلك الأمر لخوض غمار حرب" ، ومن هنا بدأت تحركات (بسمارك) الدبلوماسية الخارجية لعزل فرنسا والتهيئة للحرب نحوها ، وقد كان ذلك وفق المحطات الدبلوماسية التالية¹² :

أ - اتفاق روسي بروسي ما بعد حرب النمسا ، يفضي إلى وقوف روسيا على الحياد في حال نشبت حرب مع فرنسا وتحالفت معها النمسا ، في مقابل إلغاء بروسيا لقرارات (حياد البحر الأسود) ، الذي أقرته معاهدة باريس سنة (1856م).



ب - في خطوة لافتة سعى بسمارك على ضرورة تحييد النمسا في حالة نشوب حرب مع فرنسا ، ولأجل ذلك سارع إلى بدء المباحثات والمفاوضات مع جارتيه روسيا والنمسا، والتي انتهت بإنشاء (جامعة الإمبراطوريات الثلاث) في 1872م، تكون مهمتها محاربة الاشتراكية والجمهورية في جميع أنحاء أوروبا، وهنا يظهر الهاء البسماركي في تحييد النمسا رغم العداء الواضح بينهما .

ج - على الجبهة الداخلية استطاع بسمارك بدبلوماسية ذكية ، تشكيل اتحادين ألمانيين مرتبطين مع بعضهما ، يكونان بزعامة بروسي ، أحدهما للإمارات الألمانية في الشمال ، والآخر للإمارات الألمانية في الجنوب ، وقد ربط بينهما من خلال اتفاقات سياسية واقتصادية .

د - اغتنام بسمارك لأزمة اسبانيا السياسية ، التي وقعت فيها ثورة سنة 1869م ضد الملكة (ايزابيلا) ، اضطرتها للهروب إلى فرنسا ، وهو ما دعا بالحكومة الاسبانية ترشيح (الأمير ليبولد) لاعتلاء العرش الإسباني ، ومعلوم أن هذا الأمير كان قريبا للملك البروسي (وليام الأول) ، وبعد موافقة هذا الأخير تدخلت فرنسا ، وهددت بروسي بالحرب ، في حال لم يسحب ترشح (ليبولد) ، وبعث لأجل ذلك برقية عن طريقها سفير فرنسا في بروسي ، فاغتتم بسمارك بهذه البرقية وحوورها على أساس إهانة فرنسية للملك البروسي ، ونشرها على قطاع واسع من الصحافة الأوروبية ، جعل فرنسا في حالة دفاع وعزلة دولية ، وهو الهدف الأكبر الذي كان يصبو إليه بسمارك ، حتى يبرئ لأجواء حرب ناجحة ضد فرنسا.

02 - تحركات الجيش البروسي ضد أعداء الوحدة الألمانية لاسترجاع هيبة ألمانيا:

كان بسمارك يرى بأن تحقيق المشروع القومي الألماني وجعل مملكة بروسي القوة الأولى في أوروبا ، لا بد أن يمر عبر جسر الانتصارات العسكرية الحاسمة ، وفي هذا

الباب كان يعتبر بأن هناك قوتان أوريبتان كبيرتان تقفان حجرة عثرة ، أمام المشروع القومي الألماني ، وهما: (بروسيا وفرنسا) ، لذلك هيئ لحرهما الجيش اللازم ، والدبلوماسية الداعمة ، وبنجاحه فيهما ، بدأ مساره العسكري القومي في أوروبا والذي كان متدرجا اتجاه ثلاثة قوى أوروبية وهي (الدنمارك ، بروسيا ، فرنسا) ، وبناء على هذا يمكن الوقوف على هذا العمل العسكري اللافت للجيش البروسي والذي غير حسابات الخارطة الأوروبية جذريا ، وقد كانت وفق المحطات التالية :

أ – الحرب البروسية الدنمركية (1864م) :

أثار باسمارك سنة (1864م) ، بداعي القومية الألماني ، مسألة دوقيتي (شلزفيك و هولشتاين) الألمانيتين ، اللذان كانا تحت النفوذ الدنماركي ، منذ مؤتمر فيينا سنة (1815م) ، وقد برز هذا الخلاف ، لما صدر في شهر نوفمبر دستورا للدنمارك ، والذي جعل من دوقية (شلسفيك) جزءا من المملكة الدانمركية ، في انتهاك صريح لبروتوكول لندن لعام (1852م) ، وعلى إثر هذا اغتنمت بروسيا اللحظة ، لاسترجاع الدوقيتين من خلال حرب خاطفة وسريعة ، والتي اندلعت بينهما ، في الفاتح من شهر فبراير (1864م) ، وذلك باجتياح القوات البروسية بقيادة (فون مولكتة الكبير) للمقاطعتين المذكورتين ، وتحت ضربات القوة العسكرية الهائلة لبروسيا ، اضطرت الدنمارك ، في (30 أكتوبر 1864م) على التوقيع على معاهدة فيينا ، والتي تم خلالها إعلان التنازل عن (شيلزفيك ، وهولشتاين ، ولورنبرج) ، لصالح بروسيا ، وبالتالي كان الانجاز ، أولى خطوات القائد (بسمارك) نحو تحقيق حلم الوحدة الألمانية¹³ .

ب – الحرب البروسية النمساوية (1866م) :

بعد الانتصار العسكري البروسي على الدنمرك واسترجاعها لدوقيتي (شلزفيك و هولشتاين) ، بدأ تطلع القائد (بسمارك) ، إلى الحرب الكبرى المفصلية في حلم المشروع القومي الألماني ، ضد النمسا لاسترجاع الملك الألماني التاريخي ، باعتبار أن هذه الأخيرة ، كانت العقبة الأكبر أمام هذا المشروع لعقود طويلة ، ونظرا لأهمية هذه الحرب وصعوبتها ، لما تمثله النمسا من قوة عسكرية رائدة في أوروبا خلال هذه



المرحلة ، فإن القائد (بسمارك) ، قد حظّر لها جيدا سواء من حيث الإعداد العسكري ، أو العمل الدبلوماسي الذي لعزل النمسا عن كل تحالف خارجي ، ولما جاءت الفرصة المواتية ، بدأ (بسمارك) يجرّها إلى الحرب من خلال التنصل من الاتفاقيات السابقة بينه وبين النمسا ، ولما تحلل من كل ما يربطه معها من اتفاقيات ، جاءت لحظة الحرب الفاصلة بينهما سنة (1866م) .

هذه الحرب التي لا يمكن أن يحصل لها الفهم العميق ، إلا من خلال تناولها عبر ثلاثة مسائل :

- التنصل من الاتفاقيات بين بروسيا والنمسا.
- محطات سير الحرب البروسية النمساوية .
- نتائج الحرب وانعكاساتها على المشهد العام في أوروبا.

1- التنصل من الاتفاقيات بين بروسيا والنمسا :

بعد ما قام القائد (بسمارك) بعمل دبلوماسي ذكي ، عزل من خلاله النمسا عن كل تحالف خارجي ، بدأ في المرحلة الثانية من استراتيجته مع النمسا ، وهي جرّها ، إلى الحرب من خلال التنصل من الاتفاقيات السابقة معها ، ومن أبرز تلك الاتفاقيات التي تنصلت منها بروسيا بقيادة (بسمارك) نجد¹⁴ :

- اتفاقية (كاشتاین) :

بمجرد تدخل بروسيا في شؤون ، (شلزيك وهولشتاين) ، قامت النمسا بعرض القضية على (الدايت الألماني) ، وهو الأمر الذي اعتبرته بروسيا معارضا تماما لاتفاق (كاشتاین) ، الذي ينص على أنه في حالة نشوب أي خلاف بين الدولتين ، حول (شلزيك وهولشتاين) ، فيجب على الدولتين حله بينهما دون اللجوء إلى (الدايت الألماني)، وهنا أعلن بسمارك تنصله من هذا الاتفاق .

- مجلس (الدايت الألماني) :

على اثر أزمة (شلزفيك وهولشتاين) ، بين بروسيا والدنمرك ، وتدخل النمسا فيها ، قام القائد (بسمارك) ، بطروح مشروع جديد لإعادة النظر في قانون (الدايت الألماني) ، يتم بموجبه إقصاء النمسا منه ، ولكن بعد ما طلبت النمسا من الإمارات الألمانية العضوة في (مجلس الدايت الألماني) إعلان التعبئة العامة ، ضد بروسيا لتدخلها في (هولشتاين) ، وموافقة غالبية تلك الإمارات على الطلب النمساوي ، قام القائد (بسمارك) بإعلان انسحاب ممثلي (مملكة بروسيا) من (مجلس الدايت) ، وبرر أن حربه المرتقبة ضد النمسا ستكون من أجل تحقيق الوحدة الألمانية .

2- محطات سير الحرب البروسية النمساوية .

بعد أن تمهئت للقائد (بسمارك) الظروف الداخلية والخارجية ، قام بإعلان الحرب على النمسا ، هذه الأخيرة التي أعلنت الحرب أيضا ضد بروسيا ، منتشية بانحياز معظم الولايات الألمانية الجنوبية إلى جانبها ضد بروسيا ، وقد شملت كل من (بافاريا و فورتمبيرغ والولايات الوسطى الصغيرة مثل: (بادن ، هيس كاسل) ، وكذلك (هيس-دارمشتات ، و ناسو) ، وانضم أيضا إلى هذا التحالف العديد من الأمراء الألمان مع (آل هابسبورغ) ، بدافع الرغبة في الاحتفاظ بعروشهم ، في مشهد كانت تظن فيه النمسا ، بأن هذه الحرب ما هي إلا كسابقاتها ، من جولات الحروب الماضية ، ولم تحسب للأمر حسابا دقيقا ، مثل بروسيا ، فكانت حربا لها ما بعدها من متغيرات تعدت المشهد الألماني والنمساوي ، إلى المشهد الأوروبي قاطبة من حيث الخارطة الجيو سياسية وعسكرية ، هذه الحرب التي عرفت في المصادر التاريخية وأدبيات الذاكرة الأوروبية ، بحرب (الأسابيع السبعة) بالنظر لمدة الحرب ، وعرفت أيضا بحرب الأخوة لأن الألمان قد تواجهوا فيها ، وجها لوجه ، هذا إلى جانب أنها عرفت أيضا بحرب الاستقلال ، وذلك لأنها أسفرت عن الاستقلال للإيطاليين ، وقد دونت في المصادر الإيطالية (بحرب الاستقلال الثالثة).



وهكذا بمجرد دخول القوات البروسية إلى (هولشتاين) ، تم إعلان الحرب المتبادل بين النمسا وبروسيا ، يومي : (16 - 17 جوان 1866) ، وعلى إثر ذلك أعلنت إيطاليا الحرب على النمسا ، واتخذت فرنسا الحياد ، في مشهد حضرته له دبلوماسية بسمارك جيدا ونجحت فيه ، وجعلت من الناحية العسكرية القوات النمساوية أمام جبهتين حربيتين هما جبهة بروسيا ، وجبهة إيطاليا .
ويمكن أن نقف على المسار العسكري لهذه الحرب وفق الجبهتين النمساوية والإيطالية :

أ - الجبهة البروسية :

كان دخول بروسيا لهذه الحرب من خلال اجتياح خاضع للإمارات الألمانية المتحالفة مع النمسا في الشمال ، وهي (ساكسونيا ، وهانوفر ، وكورهن) ، في خطوة لكسر التحالف بينهما باكرا ، وتعطيل التعبئة والدعم والتضامن بينهما أيضا ، حتى لا تستغلهم النمسا كجبهة أمامية أمام بروسيا ، وهو الأمر الذي جعل (بسمارك) يحشر النمسا في مواجهة منفردة ، لم تعد عليها ، في حروبها السابقة ، واعتبر هذا الاجتياح البروسي أولى الخطوات في طريق مشروع ألمانيا القومية¹⁵ .
ونوجز هذه الجبهة العسكرية من خلال المحطات التالية¹⁶ :

- خلال الثلاثة الأيام الأولى استطاعت بروسيا من القيام بهجوم سريع وحاسم من خلال اجتياح كل المقاطعات الألمانية الوسطى والشمالية ، ومن السيطرة عليها وكسر تحالفها مع النمسا ، ومن أهم تلك المقاطعات نجد: (سكسونيا ، هانوفر ، هسه كاسل) .

- بعد اكتساح بروسيا للمقاطعات الألمانية الوسطى والشمالية ، باتت المواجهة وجهها لوجه بين بروسيا والنمسا ، حيث التقيا في معركة فاصلة ، بمقاطعة (بوهيميا)¹⁷ ،

ودارت بينهما معركة فاصلة بسادوا يوم 03 جويلية 1866م ، انتهت بانتصار كاسح لبروسيا وانهيار للجيش النمساوية ، جعل هذه الأخيرة ترضخ للمطالب البروسية من خلال توقيع معاهدة (براغ) ، يوم: (23 أوت 1866) ، والتي كانت بمثابة إعلان نهاية للحرب ، وانهازم للنمسا .

ب - الجبهة الإيطالية :

كان دخول إيطاليا لهذه الحرب يدخل ضمن مشروعها القومي أيضا ، وذلك لاستكمال استقلالها ، من ريقه النفوذ الأجنبي ، وهو ما دعا الكتابات التاريخية الإيطالية ، تطلق على هذه المشاركة ، اسم (حرب الاستقلال الثالثة) ، بعد الأولى عام (1848) والثانية عام (1859). مما يوحي بأنها تكملة لمسار مشروع إيطاليا الاستقلالي ، وقد كان دخولها لهذه الحرب بناء على تفاهمات مع القائد بسمارك ، أشرنا إليها ، في شق نشاطه الدبلوماسي ، والذي تعهد بموجها (بسمارك) ، بإرجاع البندقية إلى إيطاليا .

اللافت في هذه الحرب أن الجبهة الإيطالية لم تأخذ زحما كبيرا ، بسبب أنها كانت جبهة ثانوية ، لم تشهد أحداثا بارزة ومفصلية في تغيير مسار الحرب ، وإنما من خلال القراءة العسكرية ، فإنها كانت جبهة تشتيت قوى النمسا لإضعافها ، وهذا ما جرى طوال فترة الحرب .

03 - نتائج الحرب (البروسية - النمساوية) وانعكاساتها على المشهد العام في أوروبا.

تعدّ الحرب البروسية النمساوية سنة (1866م) من بين أعظم الحروب التي عرفتها أوروبا ، وترسّخت في الذاكرة الأوروبية ، بالنظر لانعكاساتها الشاملة والجزرية على ألمانيا ، وعلى الوضع العام في أوروبا ، لدرجة أن ألمانيا وأوروبا ما بعد هذه الحرب ليست كما قبلها على جميع الأصعدة ، وإذا ما أردنا الوقوف على نتائج هذه الحرب وانعكاساتها على المشهد العام في أوروبا ، سنقف على ذلك من خلال مشهدين مهمين هما: (المشهد الألماني والمشهد الأوروبي).



أ - نتائج الحرب البروسية النمساوية على المشهد الألماني :

يمكن أن نقف على تلك النتائج من خلال :

- نتائج معاهدة براغ على المشهد الألماني¹⁸ :

تعد معاهدة (براغ) (23 أوت 1866) من المعاهدات التاريخية الأوروبية لأنها أوجدت واقع ألماني جديد سيكون له ما بعده في التاريخ الأوروبي والعالمي عموماً ، ومن أهم نتائج هذه المعاهدة على المشهد الألماني ما يلي :

- إنهاء الحرب البروسية النمساوية .

- الاعتراف بتبعية كل من (فراكفورت ، هانوفر ، كاسل) إلى بروسيا .

- الاعتراف بحق بروسيا في دوقتي (شلزفيك و هولشتاين) .

- الموافقة على حل الاتحاد الألماني (الدايت) ، وخروج النمسا منه .

- الاعتراف بالاتحاد المنشأ من قبل بروسيا ، الذي عرف باتحاد الإمارات الألمانية الواقعة شمال نهر (المين) .

- الاعتراف باتحاد جنوب (المين) ، للإمارات الألمانية الواقعة به .

- انعكاسات الحرب على الداخل البروسي الألماني :

من خلال نتائج معاهدة (براغ) (23 أوت 1866) ، اكتست ألمانيا عموماً واقعا داخليا جديدا ، لم يسبق وأن عاشته منذ عقود طويلة ، وهذا نتيجة قوة نفوذ الخارجي ، النمساوي والفرنسي ، الذي كان لا يريد رؤية ألمانيا موحدة ، بل ينبغي أن تكون مجزأة مفككة ، لدرجة أنها وصلت من حيث التجزئة والتفكك إلى ما يقارب (300 كيان ألماني) ، لكن ما بعد هذه الحرب ، أصبح الوضع الداخلي بإرادة الألمان ، وليس بإرادة مخططات النفوذ الخارجي ، ومن أبرز ملامح الواقع الألماني الجديد ما يلي¹⁹ :

- تغير كبير في الوضع البروسي العام كقائد تاريخي لوحدة ألمانيا من حيث الجانب الاقتصادي ، إذا بات ما بعد حرب النمسا أكثر تنظيما واتسعا وتنوعا ، ويعود ذلك إلى السياسة الاقتصادية المعتمدة من قبل بروسيا ، و القائمة على منظومة الاتحاد المحلي المتبعة ، خصوصا بعد إنشاء اتحادي الإمارات الألمانية الشمالية ، الواقعة شمال نهر (المين) ، واتحاد ألمانيا جنوب (المين) ، للإمارات الألمانية الواقعة به .

- شكّلت هذه النتائج وضع القاعدة الأساس لوحدة ألمانيا وتحقيق مشروع القومية الألمانية الذي سعت له بروسيا.

- باتت خلال هذه المرحلة (بروسيا) كقائد للوحدة الألمانية ، أكثر اتساع جغرافي ، في طريق التمدد لتحقيق حلم الوحدة ، وذلك من الأقاليم المنظمة سواء بعد حرب الدنمارك ، أو حرب النمسا ، وقد أشرنا إلى كثير منها ، مثل : (شلزفيك وهولشتاين ، ساكسونيا ، وهانوفر ، وكورهنسن ، فراكفورت) ومختلف جغرافية وسط وشمال ألمانيا ، حتى أن كثير الدراسات ، ذكرت زيادة الاتساع الجغرافي بما يقارب (27 ألف ميل) ، عما كان عليه الوضع سابقا.

- المشهد الجغرافي الجديد ، قابله مشهد ديموغرافي جديد أيضا ، بحيث باتت معه بروسيا كنواة للتمدد الألماني، أكثر كثافة ديمغرافية عما كان عليه الوضع قبل الحرب ، وقد قدرتها الدراسات ، بزيادة ما يقارب (الخمسة ملايين) .

ب - نتائج الحرب البروسية النمساوية على المشهد الأوروبي العام :

كانت نتائجها على المشهد الأوروبي أعمق أيضا بالنظر للواقع الجديد الذي اتسمت به ، والذي من أبرز ميزاته:

- ظهور بروسيا كقوة عسكرية كبرى ناشئة في أوروبا ، استطاعت أن تأخذ الاستقطاب الذي كان لصالح الإمبراطورية النمساوية .

- تنازل النمسا عن (البندقية لإيطاليا).

ج - الحرب البروسية الفرنسية (1870 م) :



لم تكن مسألة إعلان الحرب مع فرنسا أمرا سهلا ، بل كانت تحمل تعقيدات كبيرة ومغامرة كبرى ، قد تعصف بمشروع الوحدة الألمانية برمته ، ولكن مخططات إعلان الحرب والتهيئة لها من قبل الألمان ، كانت بمثابة مشروع نموذجي مهم في فن إدارة الصراع ، والذي نوجزه وفق الآتي:

1 - المخطط البروسي في إدارة التهيئة للحرب مع فرنسا:

كانت انتصارات بروسيا على النمسا ، وتحقيق النتائج التي ذكرناها ، محطة متقدمة فقط ضمن المشروع القومي الألماني ، ولكنها ليست نهائية ، باعتبار أن مشروع الوحدة الألمانية لن يكتمل مشهده ، مثلما يرى القائد (بسمارك) ، إلا بتحرير ما تبقى من ألمانيا من ربة النفوذ الفرنسي ، وهو ما يستدعي قيام حرب بينهما لن تكون أقل أهمية ، وحدة ، وصعوبة ، من الحرب مع النمسا ، إن لم نقل أصعب منها ، وذلك لاعتبار الظروف الدولية المحيطة ، ونشوة فرنسا بقيادتها للمشهد الأوروبي بعد الثورة الفرنسية (1789م) ، وهو ما ينبئ بحرب قوية بينهما سيكون لها ما بعدها على المشهد الأوروبي برمته ، ولأجل الوقوف على هذا الحرب نطرح التساؤل التالي:

كيف هيأ القائد (بسمارك) لهذه الجولة الحاسمة من الحرب مع فرنسا؟

هيأت بروسيا نفسها للحرب وكأنها تراها ، وذلك بالنظر لمجالات التهيئة والتخطيط التي شملت ، كل ما يمكن أن يدفع إلى انتصار سريع وحاسم ، ويمكن أن نحصر هذه المجالات في²⁰:

- القيام بعزل فرنسا دبلوماسيا مثلما فعل مع النمسا .

- تقوية الجبهة الداخلية من خلال منظومة الاتحاد المرحلي التي قام بها بسمارك من خلال إنشاء اتحادي الإمارات الألمانية الشمالية ، الواقعة شمال نهر (المين)، واتحاد ألمانيا للإمارات الواقعة جنوبه.

- تهيئة الشاملة للجيش البروسي ، تعدّت فيه ضمان مسالة السلاح والتدريب وضخامة الجيش _ الذي كسب فيه بالتجنيد الإجباري زيادة تقارب المليون جندي إضافي _ إلى تهيئة عسكرية أعمق شملت أيضا ، الاهتمام بميدان المعركة لضمان التموين والسرعة في التحرك والتنفيذ ، وقد ظهر ذلك جليا من خلال إنشاء القائد العسكري (فون مولكتة) ، للسكك الحديدية وتسيير القطارات المخصصة للجيش الألماني، والاستفادة من التطورات العلمية في الاتصال باستعمال الاختراع الجديد المعروف (بالتلجراف) على مستوى العمل العسكري وذلك لنقل المعلومات بين أرجاء الجيش الألماني.

- هناك معطيات مهمة ، لا بدّ من مراعاتها قبل اندلاع أي حرب ، ولا بدّ أن توضع في حسابات التكتيك العسكري ، حتى يكون مسار الحرب محسوبا ولا تشوبه مغامرات غير مدروسة ، ومن أدق تلك المعطيات ، هو جرّ الجانب الفرنسي إلى إعلان الحرب أولا ، حتى تظهر بروسيا لتلك الإمارات الألمانية الجنوبية ، بأن الحرب باتت قومية ، وأن الاصطفاف فيها يبني على هذا الأساس ، وبالتالي فإن اللحظة تحتم ضرورة وقوفها إلى جانب بروسيا ضد فرنسا ، وهو ما كان عند اندلاع الحرب ، مما أكسب بروسيا نقاط قوة ، تجعلها الأقرب إلى حسب الحرب لصالحها.

- كان بسمارك يرى ، بأن الفاصل الزمني بعد حرب النمسا ، وإعلان الحرب على فرنسا ينبغي أن يكون قصيرا ، لاعتبار أن النمسا تعيش صدمة نتيجة انكسارها العسكري الشنيع ، وأن أي تأخر في إعلان الحرب على فرنسا ، سيجعل النمسا تسترجع توازنها ، وقد تحالف مع فرنسا لاسترجاع هيبتها المنكسرة .

كلّ هذا جعل القائد (بسمارك) يستعجل الحرب حتى تسير وفق المخطط البروسي ، وبالتالي فإن المعطيات كلها (سواء الفرنسية أو البروسية) ، كانت تشير إلى حرب



وشبكة بين الطرفين ستندلع ، لأن صورة مشهد أوروبا ما بعد الحرب البروسية النمساوية لن تكتمل ، وتتضح معالمها الكبرى ، إلا بعد انتهاء الحرب البروسية الفرنسية ، وذلك لارتباط هذا المشهد بها²¹ .

2- عوامل وأسباب اندلاع الحرب البروسية الفرنسية :

الوقوف على عوامل وأسباب اندلاع الحرب البروسية الفرنسية ، يجعلنا نقف عليها من خلال جانبين مهمين :

- عوامل جوهرية :

ونصف تلك العوامل بالجوهرية ، لأنها كانت توحى بأن نشوب الحرب بين بروسيا وفرنسا ، هي مسألة وقت فقط ، وأنها باتت أمرا محتوما ، ومفصولا فيه ، بالنظر للمعطيات الداخلية لكلا البلدين ، يضاف إليهما التطورات الحاصلة في الوضع العام في أوروبا ، ويمكن أن نوجز هذه العوامل في النقاط التالية :

- إقامة المشروع القومي الألماني ، تحتم ضرورة الاصطدام (البروسي - الفرنسي) ، لاعتبار أن جزء من جغرافية ألمانيا التاريخية ، كان تحت النفوذ النمساوي .

- كانت فرنسا لا ترضى بظهور قوة بروسية - منتشية بالانتصار - ، على المشهد الأوروبي ، لاعتبار أنها ستهدد مكانة فرنسا المؤثرة في أوروبا ، وسوف تشجع إيطاليا في تصفية قضيتها مع فرنسا.

- عوامل ظاهرية :

ونصف تلك العوامل بالظاهرية ، لأنها لم تكن هي جوهر إعلان الحرب ، وإنما اتخذت كذرائع لإعلانها ، وهي في حقيقتها ، لم تكن تعني بصفة مباشرة عمق المشهد ، (البروسي - الفرنسي) ، ونوجزها في النقاط التالية²² :

- أزمة العرش الإسباني ، التي ظهرت نتيجة ثورة (1869م) ، ضد الملكة الإسبانية (إيزابيلا) ، هذه الأخيرة التي اضطرت نتيجة ضغط الثوار ، إلى الهروب نحو فرنسا ، مما اضطرت الحكومة الإسبانية ، إلى ترشيح (الأمير ليوبولد) ، الذي يعدّ من أقرباء الملك البروسي (وليام الأول) ، فقبل (ليوبولد) الترشح ، الأمر الذي ، جعل العلاقات (الفرنسية – البروسية) ، تدخل في أزمة دبلوماسية حادة ، نتيجة تخوف فرنسا من تقارب بروسي – إسباني ، قد يقلب موازين القوة في أوروبا رأساً على عقب ، وهو ما أدى بفرنسا تهدد بروسيا بإعلان الحرب ضدها ، إذا لم يسحب الأمير (ليوبولد) قبوله لعرش (إسبانيا) ، مما استدعاه في النهاية لفعل ذلك الانسحاب ، ونزع فتيل الحرب ، ومن أجل إبعاد التقارب المذكور ، قامت فرنسا بإرسال سفيرها إلى بروسيا لضمان تعهد ملك هذه الأخير ، بعدم ترشيح أي شخص من عائلة (آل هوهنزولون) للعرش الإسباني .

- أزمة وثيقة السفير الفرنسي في بروسيا عقب أزمة العرش الإسباني ، والتي استغلها ، القائد (بسمارك) ، للمضي سريعا إلى إعلان الحرب ضد فرنسا ، وذلك من خلال تحوير الوثيقة المذكورة ونشرها في الصحف الأوروبية ، ليضرب عصافيرين بحجر واحد ، وذلك من خلال إبدائه للشعب البروسي ، مدى إهانة فرنسا للملك وبالتالي لكافة الشعب ، وهو ما أدى ، إلى توحد مشاعر الألمان قاطبة ضد فرنسا ، واعتبروا ذلك ضرب في صميم القومية الألمانية ، وكان غرض (بسمارك) منه ، كسب الامارات الجنوبية للوقوف مع بروسيا ضد فرنسا ، بداعي القومية الألمانية ، في مقابل تسريه وإشاعته أيضا للفرنسيين بإهانة سفيرهم في هذه الأزمة ، وفي النهاية تحقق ما كان يصبو إليه (بسمارك) ، حيث التهمت مشاعر الفرنسيين وعلت الأصوات المطالبة بإعادة الكرامة للفرنسيين بإعلان الحرب على بروسيا ، فانجرت فرنسا للعواطف وأعلنت الحرب منتصف ليلة (14 جويلية 1870م) .

3- محطات سير الحرب (البروسية – الفرنسية) (1870) وإعلان الوحدة الألمانية :



ذكرنا بأن الحرب (البروسية – الفرنسية) كانت حربا مفصلية خلال هذه المرحلة المهمة في تاريخ أوروبا ، أرادت من خلالها فرنسا كسر القوة البروسية الناشئة ، وانتصاراتها المتتالية ، وقتل حلم الوحدة الألمانية ، وبالتالي إبقاء أوضاع أوروبا ، على وضعها القائم ، لما قبل الحرب (البروسية – النمساوية) ، ومعها الإبقاء على مكانة فرنسا كقوة مؤثرة في المشهد الأوروبي ، في مقابل كانت بروسيا تهدف إلى إتمام المشهد الذي تحركت من خلاله منذ أول يوم وصل فيه الملك (وليام الأول) ، إلى سدة عرش بروسيا ، ومعه القائد (بسمارك) على زمام الحكم فيها أيضا ، وهو تحقيق حلم ألمانيا موحدة وقوية وسيدة في أوروبا ، هذه الحرب بكل هذه الميزات ، والأهمية ، عدت في منظور التحليلات العسكرية ، بأنها كانت سريعة وحاسمة ومؤثرة ، ويمكن أن نقف على مسارها عبر المحطات التالية²³ :

- بناء على ما جرى من تطورات ، اضطر البرلمان الفرنسي للاجتماع يوم 16 يوليو/تموز 1870م ، وخرج بقرارات بالغة الأهمية ، من خلال إعلان الحرب على بروسيا ، وإرساله بعد ثلاثة أيام بشكل خطاب إلى الحكومة البروسية .

- ردا على الخطاب الفرنسي المرسل ، قامت الولايات الألمانية الجنوبية ، بإعلان الحرب على فرنسا ، والانضواء إلى جانب بروسيا ، لأنهم رأوا بأن المسألة باتت قومية ، واللحظة تستدعي التخندق معها ، وبالتالي نجحت فكرة بسمارك التي خطط لها بإحكام .

- في 28 يوليو/تموز 1870م بدأت فرنسا بتحريك جيوشها المقدرة بحوالي: (200) ألف جندي ، صوب الجبهة البروسية ، في مقابل ما يقارب (500) ألف جندي بروسي دفعتها بروسيا للجبهة الفرنسي أيضا ، عند بداية الحرب ، وهو ما يظهر مدى الاستعداد البروسي لهذه الجولة ، وسرعة التحول التي تمت لديهم ، والقدرة على

التجنيد ، في مقابل جيش فرنسي يعلن حربا بعواطف وبحسابات قديمة ، ضد قوة متجددة على شتى الصعد العسكرية ، تمتلك أفضلية في سلاح المدفعية ، وسرعة التحرك والمناورة .

- الجيش الفرنسي منذ البدايات الأولى لاندلاع الحرب شهد انهيارا عسكريا لافتا ، ينبئ وكأنه لم يكن على جاهزية تامة لهذه الحرب ، حيث استطاع الجيش البروسي أن يهزمه في كل المعارك الحربية الأولى ، ويرغمه على تراجع عسكري مدلّ ، أصبح بموجب محاصرا وفي حالة دفاع مذلة ، وهو مالا يتناسق تماما مع بداية الحرب التي أعلنها هذا الجيش وهو في صورة هجومية ينتقل لهزم الجيش البروسي في عقر داره .

- المعارك الأولى أبانت على جاهزية الجيش البروسي الجيدة للحرب ، حيث استطاع هزيمة الفرنسيين في كل المعارك ، خاصة في (ويزمبورج ، وورث وسبيتشرن) وكبدوهم خسائر فادحة واستطاعوا من خلالها فصل الجيش الفرنسي عن بعضه حتى يسهل القضاء عليه ، بحيث صار نصف الجيش الفرنسي ، بقيادة (ميتز) متحصن في سيدان ، والنصف الآخر بقيادة (ماكماهون) ، واقتضت الخطة الألمانية محاصرة (سيدان) ، للقضاء على جيش (ميتز) أولا ، ونظرا لشدة الحصار ، اضطر القائد الفرنسي (ماكماهون) للتحرك من أجل فك الحصار على ميتز، إلا أنه وجد الاستعداد الألماني قويا ، والتفافاته على جيشه متسارعة، مما اضطره للتحصن بقلعة سيدان القديمة، إلا أنه قوبل فيها بهجوم ألماني عنيف، عجل بقيام المعركة الفاصلة في هذه الحرب، وهي معركة (سيدان) الشهيرة، والتي انتهت بسقوطها في (2 يوليو/تموز 1870م)، واستسلام القائد الفرنسي (ماكماهون)، والإمبراطور (نابليون الثالث)، ومعهما جيش قوامه (82) ألف جندي.

- في 18 أيلول / سبتمبر ، ينجح الجيش البروسي المحاصر لـ (ميتز) ، من فرض استسلام الجيش الفرنسي بقوام (150) ألف جندي ، في مشهد مدلّ لفرنسا .



- عدّ استسلام الإمبراطور (نابليون الثالث) من قبل الفرنسيين هو نهاية للجمهورية الثانية ، وبالتالي قامت مقاومة وطنية يوم: (4 ايلول/ سبتمبر 1870) ، شكل قادتها في باريس ما يعرف بالجمهورية الفرنسية الثالثة ، وسعوا إلى مواصلة الحرب .
- بعد معركة (سيدان) و(ميتز) ، انقلب المشهد رأساً على عقب ، من خلال الانهيار الدراماتيكي للجيش الفرنسي ، ونظراً لتطورات الوضع في باريس من خلال قيام منظومة سياسية جديدة ، عزم الألمان على ضرورة التقدم السريع داخل فرنسا نحو العاصمة باريس ، خصوصاً بعد استحكامهم السيطرة على المناطق الشمالية الفرنسية ، ودون مقاومة تذكر ، وجدوا أنفسهم على أصوار (باريس) ، حيث أحكموا عليها الحصار يوم: (19 سبتمبر / أيلول 1870) ، ودام الحصار ما يقارب الأربعة أشهر ، أمام عجز الفرنسيين ، على أخذ زمام المبادرة وقلب سير العمليات العسكرية .
- يوم 28 يناير 1871م ، شهد التاريخ الأوروبي أكبر حدث من خلال استسلام باريس للألمان ، في مشهد مذل لا زال راسخاً في الذاكرة الفرنسية ، ومن وسط غرفة المرايا ، يعلن عن قيام ألمانيا الموحدة ، ويشهد التاريخ سقوط قصر فرساي الواقع في قلب العاصمة ، وسط أجواء القتل والأسر وإضرار النيران ، في أشهر الأماكن الرمزية للفرنسيين فيما يعرف بقوس النصر .
- توقيع معاهدة فراكفورت يوم (10 مايو 1871) ، والتي تم بموجبها التهيئة لإنهاء الحرب ، وقد نصت على أهم القرارات :
- انسحاب الجيش الألماني من محيط (باريس).
- رفع الحصار عن باريس مقابل التنازل عن (الألزاس و لورين) ، الواقعتين على الشريط الحدودي .

- موافقة فرنسا على دفع جزية سنوية لألمانيا، مقدرة بـ (خمسة آلاف مليون فرنك فرنسي) .

- بقاء الجيش الألماني في المناطق الشمالية الفرنسية، حتى يتم تسديد غرامات الحرب

- إطلاق صراح الإمبراطور (نابليون الثالث) مع جنوده المأسورين.

خاتمة

من خلال ما سبق ندرك بأن تحقيق الوحدة الألمانية كان نموذجا تاريخيا باهرا ، بالنظر لما كان يحيطه من تحديات كبيرة ، كانت تضعها في خانة المستحيل ، ولكن رجال الألمان الأقوياء وعلى رأسهم القائد (بسمارك) ، رأوا غير ذلك وصاغوا مشروعا متكاملا للوحدة ، انتهى بتحقيق الحلم الألماني في الوحدة ، ونوجز محطات الوحدة ما بعد اعتلاء القائد بسمارك لسدة الحكومة فيما يلي:

- وفاة الملك البروسي (فرديريك وليام الرابع) ، واعتلاء عرش بروسيا أخوه الملك (وليام الأول William I) ، هذا الأخير الذي كان متشبعا بالروح القومية الهادفة إلى الوحدة الألمانية ، وكان يرى بأنه لا سبيل لألمانيا موحدة إلا بجيش بروسي قوي ، لذلك عمد من اعتلائه العرش على ضرورة إحاطة الجيش البروسي بكل عوامل القوة وتقديم له كل ما يحقق هذه الغاية .

- ظهور قائد عسكري قوي ومحنك على مسرح الأحداث ، إنه القائد (فون رون) ، الذي عينه الملك البروسي ، على رأس وزارة الدفاع ، وقد جاء بفلسفة عسكرية جديدة غيرت منظومة القوة البروسية برمتها ودفعتها إلى مجال التميز الأوروبي اللافت .

- بروز القائد (بسمارك) كمنقذ للأزمة البروسية ، حيث اعتبر ، رجل المرحلة الأكفأ ، والبطل القومي الذي سينقل بروسيا، إلى مصاف الدولة القوية المهابة ، ومن ثم تجسيد مشروع ألمانيا الموحدة ، واللافت أن هذا القائد ، كان يحمل ذات المشاعر القومية التي يحملها الملك ، ووزير الدفاع ، وبالتالي اشترك الثلاثة معا ، في السعي



بكل ما أوتوا من قوة ودهاء لتحقيق مشروع الوحدة الألمانية. ضرورة تقوية جيش بروسيا لأنه واجهتها الكبرى ومستقبلها الذي يمكن من خلاله تحقيق الأهداف القومية في توحيد ألمانيا .

- تجسيد مشروع الوحدة الألمانية مر بمراحل تأسيسية لافتة نوجزها في ثلاثة مراحل:

- أ – مرحلة استرجاع دوقتي (شلزفيك وهولشتاين) الألمانيتين (1864م).
ب – استرجاع امارت وسط وشمال ألمانيا سنة (1866م) .
ج – استرجاع مقاطعات جنوب ألمانيا سنة (1870م) .

كل هذه المتغيرات فتحت المجال واسعا لألمانيا كي تكتسح فرنسا وتحاصر العاصمة باريس ، لتدخل القوات الألمانية (قصر فرساي) ، في مشهد مذل لا زال راسخ في الذاكرة الفرنسية والأوروبية عموما ، وبانهزام فرنسا ، وصل الحلم القومي الألماني إلى نهايته ، وتم إعلان ألمانيا الموحدة من قاعة المرايا (بقصر فرساي) وتم تأكيده من خلال مقررات معاهدة فرانكفورت ، يوم (10 مايو 1871)، وينبغي الإشارة إلى أن القائد (بسمارك) قد سبق هذه الخطوة ، بلقاء ألماني جامع انتهى بما يعرف (بمعاهدة التوحيد) ، التي جمع فيها ممثلي اتحاد الشمال مع ممثلي حكومات جنوب ألمانيا ، وذلك في شهر (نوفمبر) 1870م ، واتفقا على ترقية الاتحاد الألماني إلى الإمبراطورية الألمانية ، ولقب الملك البروسي بالإمبراطور بدلا من رئيس الاتحاد ، وأخر التتويج حتى جاءت لحظته التاريخية يوم 18 يناير 1871م ، بقاعة المرايا بقصر فرساي ، بحضور الملك (وليام الأول) في مشهد تاريخي لافت وراسخ ، قرأ فيه

مرسومه الإمبراطوري القائد (بسمارك)، وانتقل عبر ذلك الثقل السياسي والدبلوماسي والاقتصادي من باريس إلى برلين .

. قائمة المراجع:

- حيدر منصور ، بسمارك (سياسة الحديد والدم) ، ط.1 ، دار ومكتبة عدنان ، 2018 .
- يحيى جلال ، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ، ط.2 ، دار العودة ، الإسكندرية ، 1965 .
- محمد كمال الدسوقي ، تاريخ ألمانيا ، ط.1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1969 .
- محمد قاسم ، حسين حسني ، تاريخ القرن التاسع عشر ، ط.1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1938
- محمد محمد صالح ، تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية (1500-1789م ، ط.1 ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، بغداد .
- عبد العزيز نوار ، عبد الحميد النعيمي ، أوروبا من الثورة الفرنسية حتى الحرب العالمية الثانية ، ط.2 ، دار النهضة العربية ، 1973 .
- عبد الفتاح حسن أبو عليه وإسماعيل ياغي ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 .
- علي حيدر سليمان ، تاريخ أوروبا الحديثة ، ط.3 ، مطبعة دنكور الحديثة ، بغداد .
- قرقوط ذوقان ، الثورة الفرنسية ، ط.1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1980 .
- بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث (1789 – 1940)، ترجمة: سوسن فيصل السامر ، يوسف محمد أمين ، ج.2 ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، 1992 .



- براين بوند ، الحرب والمجتمع في أوروبا (1870 – 1970) ، ترجمة: سمير الحلبي ، ط.2 ، دار المأمون ، بغداد ، 1988 ، ص.121 – 122 / هـ.ج. ويلز ، مرجع سابق .
- جرانت ج. ، هارولد تمبرلي ، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950) ، ترجمة: بهاء فهمي ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة .
- دالماس كلود ، تاريخ الحضارة الأوروبية ، ترجمة: توفيق وهبه ، ط.2 ، دار عويدات ، بيروت ، 1970 م .
- هـ.ج. ويلز ، موجز تاريخ العالم ، ترجمة: عبد العزيز توفيق ، ط.2 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1958 .
- كروستوفر دوسن ، تكوين أوروبا ، ترجمة: سعيد عبد الفتاح ، ط.2 ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، 1967 م ،
- Charles Lowe , Prince Bismarck: An Historical Biography With Two Portraits, Volume 2, Kessinger Publishing, 2005,
- Dittrich jochen , Bismarck, frankrcich un die spanishche ,threnkandida tur derhohensollern , germany , 1962.
- Encyclopedia Britannica, vol.3,chicago.
- Geoffrey Wawro,The Austro-Prussian War: Austria's War with Prussia and Italy in 1866. Cambridge University Press,Cambridge,1966.
- Michael Embree,Bismarck's first war : the campaign of Schleswig and Jutland 1864, Helion & Company Ltd, 2006.
- .الهوامش: (*)

- ¹ - جرانت ج. ، هارولد تمبرلي ، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950) ، ترجمة: بهاء فهي ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ص.239. / عبد العزيز نوار ، عبد الحميد النعيمي ، أوروبا من الثورة الفرنسية حتى الحرب العالمية الثانية ، ط.2 ، دار النهضة العربية ، 1973 ، ص.30.
- ² - وليام الأول William 1 (1797-1888) ، ملك بروسيا بين (1861-1871) ، ثم إمبراطورا بين (1871 - 1888) ، ولد بالقرب من بوتسدام وهو الابن الثاني لملك بروسيا (فريدريك وليام الثالث) (1770 - 1840) ، كان متشعبا بالقومية الألمانية ، ويحلم بتحقيق الوحدة الألمانية . (أنظر: بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث (1789 - 1940) ، ترجمة: سوسن فيصل السامر ، يوسف محمد أمين ، ج.2 ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، 1992 ، ص.390-391).
- ³ - محمد كمال الدسوقي ، تاريخ ألمانيا ، ط.1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1969 ، ص.121. / كروستوفر دوسن ، تكوين أوروبا ، ترجمة: سعيد عبد الفتاح ، ط.2 ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، 1967 م ، ص.91.

5 - Charles Lowe , Prince Bismarck: An Historical Biography With Two Portraits, Volume 2, Kessinger Publishing, 2005,p,538

⁶ - هـ.ج ويلز ، مرجع سابق ، ص.32. / بالمر ، مرجع سابق ، ص.147.

- Encyclopedia Britannica, vol.3, chicago, pp.714-722.

⁷ - عبد الفتاح حسن أبو عليه وإسماعيل ياغي ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، دار المريخ للنشر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 ، ص.363.

- Dittrich jochen , Bismarck, frankreich un die spanishche , threnkandida tur derhohensollern , germany , 1962 pp 4-9 .

⁸ - حيدر منصور ، بسمارك (سياسة الحديد والدم) ، ط.1 ، دار ومكتبة عدنان ، 2018 ، ص.2.

⁹ - كريستوفر دوسن ، مرجع سابق ، ص.91.

¹⁰ - دالماس كلود ، تاريخ الحضارة الأوروبية ، ترجمة: توفيق وهبه ، ط.2 ، دار عويدات ، بيروت ، 1970 م ، ص.17.

¹¹ - قرقوط ذوقان ، الثورة الفرنسية ، ط.1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1980 ، ص.60.



- ¹² - تايلر، مرجع سابق ، ص.41 / محمد محمد صالح ، تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية (1500-1789م)، ط1، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، بغداد ، ص.142- 143 / محمد قاسم ، حسين حسني ، تاريخ القرن التاسع عشر ، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1938 ، ص. 128 – 129 / جرانت ، مرجع سابق ، ص.241 – 242/ براين بوند ، الحرب والمجتمع في أوروبا (1870 – 1970) ، ترجمة: سمير الحلبي ، ط.2 ، دار المأمون ، بغداد ، 1988 ، ص.121 – 122 / ه.ج. ويلز ، مرجع سابق ، ص.33 – 34.
- ¹³ - دالماس كلود ، مرجع سابق ، ص.18./ علي حيدر سليمان ، تاريخ أوروبا الحديثة ، ط.3 ، مطبعة دنكور الحديثة ، بغداد ، ص.335.
- Michael Embree, Bismarck's first war : the campaign of Schleswig and Jutland 1864, Helion & Company Ltd, 2006, p.25-41 and beyond
- ¹⁴ - يحيى جلال ، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ، ط.2، دار العودة ، الإسكندرية ، 1965 ، ص.70- 71.
- ¹⁵ - كارلتون هيز ، مرجع سابق ، ص.160 / تايلر ، مرجع سابق ، ص.39 – 40.
- Geoffrey Wawro, The Austro-Prussian War: Austria's War with Prussia and Italy in 1866. Cambridge University Press, Cambridge, 1966. Pp. 313.
- ¹⁶ - تايلر ، مرجع سابق ، ص.41./ محمد أمين فرشوخ ، مرجع سابق ، ص.40.
- ¹⁷ - Geoffrey Wawro, The Austro-Prussian War: Austria's War with Prussia and Italy in 1866. Cambridge University Press, Cambridge, 1966. p. 20.
- 18 - محمد محمد صالح ، مرجع سابق ، ص.142- 143 ./ أبو عليه ، مرجع سابق ، ص.371.
- 19 - محمد محمد صالح ، مرجع سابق ، ص.142- 143 ./ أبو عليه ، مرجع سابق ، ص.371.
- 20 - محمد قاسم ، مرجع سابق ، ص.129.
- 21 - محمد قاسم ، المرجع سابق ، ص.129.

- 22 - براين بوند ، الحرب والمجتمع في أوروبا (1870 – 1970) ، ترجمة: سمير الحلبي ، ط.2 ، دار المأمون ، بغداد ، 1988 ، ص.121-122. / جرانت ، مرجع سابق ، ص.241 ،
- ²³ - / براين بوند ، الحرب والمجتمع في أوروبا (1870 – 1970) ، ترجمة: سمير الحلبي ، ط.2 ، دار المأمون ، بغداد ، 1988 ، ص.124. / محمد محمد صالح ، مرجع سابق ، 143. / الدسوقي ، مرجع سابق ، ص.125.